

## جلسة عائلية

للاستاذ ابراهيم عبد القادر المازني

« عمى .

فلم أجب ، ولم ألتفت ، فكان النداء كان لغيري ، ومضيت في كلامي مع صاحبتى ، وكان الهواء طول النهار راكداً ، والحر شديداً ، ثم بدأ الجوى طيب ، والجلسة تحسن ، في هذه الصحراء النائية التي لم يكن يخطر لي أن يهجم على أحد فيها من أهلى .

« عمى . . . »

فأيت أن أشعر أن النداء لي ؟ فقالت صاحبتى : « ألا تسمع ؟ » ولم يكن ثم شك في أني أنا العم المقصود ، فقلت : « سامع ، وفاهم . . . »

« عمى . أنت هنا ؟ من الصبح أناديك ،

فوقفت — فما بقي من هذا بد — والتفت إلى الصغيرة التي بج صوتها وقلت : « هل سمعتك تنادين عمك ؟ »

قلت : « طبعاً . . . لي نصف ساعة وأنا أفعل ذلك ،

قلت : « هل تريد مني أن أبحث لك عنه ؟ . . . أناديك معك ؟ انصوتي مع الأسف خافت . خفيض جداً . . . »

ولقد يسأل السائل من جديد : ومن لنا أن تثبت فيه الحس المأمول ؟ وجواب ذلك سهل في التعبير ، ولا أزعم أنه سهل في الانجاز والتحقيق

جواب ذلك ان الحس لا يخلق خلقاً ولكنه يتعهد بالحث والايقاز إن أصابه جمود ورائت عليه ثقل الكسل والجشوم وليس أنجح في الحث والايقاز من تصحيح الأجسام وتصحيح الآذواق : تصحيح الأجسام بالرياضة الصالحة القوية ، وتصحيح الآذواق بالفنون الجميلة الرفيعة ؛ ومن صح جسده وحسن ذوقه فلن يفوته الشعور بما حوله ؛ ومن شعر بما حوله فماذا يبقى له إلا أن ينشط ويعمل ، وإلا أن يريد وينجز ما يريد ؟

عباسي محمود العقاد

لا يذهب إلى أكثر من متر . يصلح للهمس فقط . في الأذن ، فضحكت الصغيرة وقالت : « ماذا تقول يا عمى ؟ لماذا تتكلم هكذا ؟ »

قلت : « عمك ؟ أنا ؟ أنا عمك ؟ » .

قلت : « بالطبع . . . ألا أعرف عمى ؟ » وضحكت .

قلت : « واثقة ؟ » .

قلت وهي لا تزال تضحك وقد راقها كلامي : « جداً . . . »

قلت : « ولا شك عندك ؟ »

قلت : « أبداً . . . »

قلت : « ولا رغبة في الشك ؟ »

قلت : « كلا . . . »

قلت : « يعني أن لي أخاً أنت بنته فانا عمك ؟ »

قلت : « آه . . . »

قلت : « بهذه السهولة ؟ بلا تردد أو مناقشة أو بحث ؟ »

وا أسفاه ! ألحق أن روح البحث العلمي ينقص الجيل الجديد ،

قلت : « ماذا تعنى ؟ »

قلت : « يا بنت أخى — أظن أنه لاشك عندك في هذا —

إن الذى أعنيه هو أن المسألة تحتاج إلى تمحيص قليل ، وأن التسليم بهذه السهولة ليس من أخلاق العلماء . تفضلوا واجلسوا فان الجلوس أعون على البحث السديد . »

فجلست وطلبت لها شيئاً من عصير البرتقال ، فهو خير ما يشرب في هذا المكان وفي مثل ذلك الجو وعرقتها بصاحبتى ثم قلت لها :

« نعود الآن إلى عمك ،

فقالت : « ماله ؟ »

قلت : « لاشئ به . كان الله في عونك . هل تعرفين ابن الرومى ؟ »

فابتسمت صاحبتى وقالت الصغيرة : « ابن الرومى ؟ ابن إيه ؟ »

قلت : « مسكين ابن الرومى . ألم تسمعى به قط ؟ »

قلت : « لا . . . أبداً . . . أين هذا ؟ »

قلت : « مات من زمان . »

قلت : « وكيف أعرفه وقد مات من زمان ؟ »

قلت : « صدقت . الذي يموت لا يعرفه أحد . يكون ذنبه على جنبه . خازوق ! »

قالت : « ما هو ؟ »

قلت : « ان يموت . . . أ . . . إن ابن الرومي مات ، وقالت صاحبتى : « دع الموت والموتى بالله . حسبك الأحياء . فاركبهم بما شئت من هزلك ،

وقالت الصغيرة : « من هو ابن الرومي ياعمى ؟ . إنى أراك تعطف عليه . »

قلت : « صحيح . . مسكين . . ابن الرومي هذا ياستى كان رجلاً له لحية . . كان ينبغي أن يظل وجهه أمرد ، أجلس ناعماً فقد كان جميلاً في صباه ، ولكنه كان مع الأسف رجلاً ، والرجال مصابون باللحى . . آه لو كانت اللحى تنبت للنساء . ! ولكن الله أعفاك من هذا البلاء . . ومن حسن حظ ابن الرومي . أو من سوء حظه ، لا أدري . أن الناس في زمانه كانوا لا يخلقون لحام كل يوم كما نفعل نحن تقليداً لكن يابنات حواء . . غريب ! ينفر الرجال من مظاهر الرجولة ويدأبون على محوها كل يوم . . . ولا نرى المرأة تحاول أن تكون لها لحية كالرجل . . . لا تخافا فلست أنوى أن ألقى محاضرة عليكما ، ولكنه يخطر لي الآن أن من غير المقبول من الرجل أن يتجمل ويحاكي المرأة ويحاول منافستها في مزيتها فهل هذا ياترى تخش منه ؟ أم هو من الرغبة في أن يتسلح للنضال بكل سلاح . . . ما علينا . . . فلنرجع إلى ابن الرومي : كان هذا ياستى ذا لحية خفيفة قليلة الشعرات ، ولكنها لحية على كل حال ؛ وكان يأسف لأن « السيفى ريزور » - آلة الخلاقة الحديثة - لم تكن قد اخترعت في زمانه . . .

فقالت الصغيرة محتجة : « ياعمى ما هذا الكلام . . . كيف يمكن أن يأسف على شيء لم يكن يعرف أنه سيكون ؟ »

قلت : « والله ذكية ياملعونة . . . نهايته . . الحق معك . . فهل الأصح أن أقول إنه لم يكن يأسف على عدم اختراع السيفى ريزور ؟ . . . سيان . . . هيه ؟ . . . وكان ياستى يخاف من البرد جداً ، فكان إذا دخل الحمام - أعنى إذا أراد أن يستحم - يوقد فيه النار ليضمن لنفسه الدفء حين يكون فيه وبملا

الطشت بالماء الساخن ، وبعد اللبف والصابون النابلسي الجيد - أم ترى هذا لم يكن معروفاً . . . لا بأس - ويطلق البخور ثم يدخل متوكلاً على الله ، متوسلاً إليه تعالى أن يجرسه في الحمام ، وأن يخرج منه بخير وسلام . . .

فقالت الصغيرة : « أكان يخاف إلى هذا الحد ؟ . . لماذا ؟ مم كان يخاف ؟ »

قلت : « أوه ، لا أدري . ! يظهر أن كلباً كلباً - مسعوراً - عضه في طفولته ولم يشف قط ، أو لم يشف تماماً . . كواه بالنار أو لا أدري ماذا فعلوا به . . ولكنه لم يشف ،

فقاطعتنى سائلة : « صحيح ياعمى . . مسكين ! »

قلت : « لا أدري . . هذا تخمين . . وإلا فلماذا كان يخاف من الماء كل هذا الخوف حتى ليقول :

وأيسرُ إشفاقى من الماء أتى أمرُ به في الكوز مرالمجانِب  
وأخشى الردى منه على كل شارب

فكيف بأمنيه على نفس راكب ؟  
فقالت صاحبتى : « يا شيخ حرام عليك . . اتق الله . . لا تصدقيه ،

فتلفت الصغيرة منها إلى ، ثم قالت بعد تردد : « هل كان شاعراً ؟ »

قلت : « لا . . لم يكن شاعراً . . وإنما كان يغنى في الحمام فيخرج الكلام موزوناً وهو لا يدري . . ولكن الناس لا يتركون أحداً مرتاحاً . . ويظهر أن بعضهم كان يسترق السمع وراء باب الحمام ، ويقيد كل ما يسمعه من ابن الرومي وهو يغنى نفسه ويتسلى في الحمام . ثم جمع كل ما سمعه ، ودفعه

إلى الناس وقال هذا شعر ابن الرومي . . الناس ملاعين . . أشقياء . . لا يدعون أحداً مرتاحاً . . الرجل كان يسلى نفسه في الحمام فالحم هم ؟ . . إيه . . هكذا الناس يحشرون أنفسهم فيما لا يعنيههم . . فضول ورزالة . . نهايته . . وكان بما يغنى به وهو ينظر في المرأة إلى لحيته ، ويمشط شعراتها القليلة ويفتل أطرافها لتكون كالقلم الرصاص المبرى هذا البيت :

أصبحت شيخاً له سمّت وأبهة

يدعوتنى الغيد عما - نارة - وأبا

## في تبويب الكتب

للدكتور محمد عوض محمد

لقد تجرّى في حياتنا الأدبية الهادئة حادثات ونوادير طريفة تستحق أن تُسجَّل وتُثَبَّت ؛ ومن ذلك هذه الرسالة التي كتبها صديقنا الأديب إسماعيل بن زيد إلى صديقه الفاضل الأستاذ طه حسين ، مُسْتَفْتِياً ومداعباً

وصاحبنا إسماعيل يزعم أنه قد تكدّست لديه المؤلفات القيمة ، ولكنه لا يعرف كيف يقسم كتبه إلى أبواب وفصول ، ولذلك لم يستطع نشر شيء من مؤلفاته إلى اليوم . وهو يزعم في هذا أن عناء التأليف والتصنيف ليس بشيء يذكر إلى جانب عناء التبويب والتفصيل .

فلم يكد يطلع في كتاب للأستاذ حسن إبراهيم حسن قطعة يصف فيها الأستاذ طه حسين بأنه « لا يشق له غبار » في تبويب الكتب ، حتى تناول قلبه الرشيقي ، وأرسل إليه هذا الكتاب ، الذي عثرنا عليه بمحض الصدفة ، والذي ثبتته هاهنا بنصه وفصه :

استفتاء

إلى العميد العظيم طه بن حسين  
نَعِمَ صَاحُوكَ أَيُّهَا الْعَمِيدُ !

وبعد فاني أريد أن أَسْتَفْتِيكَ في أمر شهدك فيه صديقنا حسن إبراهيم حسن بالتقدم والبراعة ، حيث قال في غير موضع من رسائله الممتعة إنك لا يشق لك غبار في تبويب الكتب ولدي أيها العميد العزيز رسائل عديدة في موضوعات جليلة ، حرت في أمري وفي أمرها : كيف أجعل لها أبواباً ونوافذ وشبايك . . . وهي رسائل - وحقك - ذات خطر عظيم وشأن جليل ؛ أريد أن أتقدم بها إلى بعض معاهد العلم لكي أحصل بها على ألقاب نفيسة ، وأسماء ضخمة . .

وما خير حياة ، يعيش صاحبها من غير ألقاب ولا أسماء ؛ ولقد حدثني من أثق بشهادته أن الألقاب أعظم شيء في الحياة ، وأنه أفضل لاين آدم أن يكون له لقب ، من أن يكون له أدب .

كان يتحسر على شبابه ، ويأسف لأنه صار ذا لحية . . ويظهر أن الغيد الحسان من أمثالكن بفلطن فتارة يقلن له يا عمي ، وطوراً يقلن له يا أبي . . غريب ألا يعرفن أهو أب لمن أم عم ؟ . . ولكنك أنت لا تغلطين . . أنا عمك فقط . . متأكدة أني لست أباك أحياناً ؟

فقلت صاحبي : « أعوذ بالله منك ! »

وقالت الصغيرة : « متأكدة جداً . . عني بالطبع . كيف يمكن أن تكون أبي ؟ »

قلت : « معقول ألا تغلطي . . لسبين : الأول أني لا أرسل لحياتي كما كان ابن الرومي مضطراً أن يفعل لأن الله خلق السيفتي ريزور في زمانى والحمد لله ، أعني الله ، بالطبع ، لا للموسى ؛ والثاني أن أباك المحترم مقبل علينا يتهدى في مشيته . . أحسبه يفخر بأن له بنتاً مثلك . . له الحق ! »

وجاء الاخ الفاضل وقت بواجب التعريف الذي لا مهرب منه ، واتضح لي - بعد أن تجشمت عناء القيام بهذا الواجب انه كان يسغى أن أريح نفسي ، فقد سبق لأخي أن عرف صاحبي في بيتنا .

وجلسوا . وجلست وأنا أتهدو وأنظر إلى صاحبي وأقول :

« معذرة . ليس هذا ذنبي . وأنت ذكية ، وتستطيعين أن تدركي بسهولة أنه لا مهرب من الأهل . لقد جئنا إلى آخر الدنيا من ناحية الشرق ، ولو أنصف الزمان لذهب أخى الفاضل إلى آخر الدنيا من ناحية الغرب مثلاً ، أو الجنوب أو الشمال ؛ ثلاث جهات كان يمكنه أن يذهب إليها ، ولكن جاذبية الدم تصرفه عن الجهات الثلاث وتدفعه إلى هذه الجهة فيدركنا ويملا علينا الدنيا ، ويشعرنا بأنها في الحقيقة أصغر مما كنا نظنها . ويؤنسنا طبعاً . أظن أن في وسعنا أن نتفقر له هذا من أجل بنته ، من أجل عينيها اللتين وقعتا على بسرعة البرق ، نصفح عن أيها ونرحب به . تعال يا جرسون والأمر لله . وحسبي الله »

إبراهيم هجر القادر المازني